النوع ـ أعني: التحدي ـ؛ أي: تحدي الخصم حتى يتبين عجزه، وأنه ليس على حق؛ من ذلك قوله ـ تعالى ـ: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله، وأدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين ﴾ [البقرة: ٢٣]، ومثل قوله ـ تعالى ـ: « أم يقولون تقوله، بل لا يؤمنون (فليأتوا بحديث مثله، إن كانوا صدقين ﴾ [الطور: 33، 34]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي فيها تحدي الخصم حتى يتبين

ع

عجزه.

ثم قال الله - سبحانه وتعالى ـ: «قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صدقين و ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظامين و ولتجدهم أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشتركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزخرجه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون)

الخطاب في قوله: «قل ← للرسول ﷺ؛ أمره الله ـ تعالى ـ أن يقول لهؤلاء الموجودين في عهده من بني إسرائيل: (قل إن كانت لكم الدار الأخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت »؛ وذلك أنهم كانوا يدعون أنهم هم أهل الجنة، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، ثم يخلفهم المسلمون فيها، ويدعون أنهم أبناء الله تعالى

سـورة البقـرة

١١٣٥١

أحباؤه، وأنهم خلاصة الله ـ تعالى ـ من البشر، إلى غير ذلك من الدعاوى الباطلة التي يشهد ببطلانها حالهم التي هم عليها، فيقول الله ـ تعالى ـ لنبيه: «قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صدقين»، ومن المعلوم أنهم لن يتمنوا الموت؛ لأنهم يعلمون أنهم على باطل؛ ولهذا قال: «ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم »؛ أي بسبب ما قدمت أيديهم من الكفر، والظلم، والطغيان، ومن كانت هذه حاله؛ فإنه لا يمكن أن يتمنى الموت؛ لأنه لو تمنى الموت في هذه الحال لكان معناه أنه يتمنى استعجال العقوبة على نفسه، « والله عليم بالظامين * ، هذه جملة استئنافية تبين أن الله - سبحانه

وتعالى ـ يعلم أن هؤلاء ظلمة، وأنهم لا يمكن أن يتمنوا الموت؛ لما هم عليه من الظلم، ثم قال: «ولتجدهم حرصت الناس على حيوة »؛ أي: لتجدن هؤلاء الموجودين من بني إسرائيل أحرص الناس على حياة، وإن كانت قليلة، يتمنون أن يبقوا في هذه الحياة الدنيا ولو قليلاً؛ ليتمتعوا بما فيها من اللذات التي لا تنفعهم يوم القيامة؛ ولهذا قال: «ومن الذين أشركوا»؛ يعني: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة حتى من الذين أشركوا؛ يعني: فهم أحرص الناس على حياة، ويود أحدهم لو يعمر ألف سنة ؛ يعني: يحب ويتمنى أن يعمر ألف سنة، ولكنه لو عمر لم ينفعه ذلك، وما هو بمزحزحه، من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون »
له

= ١٣٥٢١

أحكام من القرآن الكريم

وسيجازيهم الله على أعمالهم بها يستحقون.
فوائد وأحكام هذه الآيات الكريمات:
1ـ تحدي هؤلاء الذين ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الدار الآخرة لهم، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، تحديهم بأمر هم قادرون عليه لو شاءوا؛ وهو تمني الموت إذا كانوا صادقين بأن الدار الآخرة لهم.
٢ـ ومن فوائدها: أن هؤلاء الموجودين من بني إسرائيل في عهد النبى ﷺ لا يمكن أن يتمنوا الموت؛ لأنهم يعلمون أنهم على باطل؛ ومن كان يعلم أنه على باطل فلا يمكن أن يتمنى الموت؛ لأنه لو تمناه لكان يستعجل العذاب لنفسه.
٣ـ ومن فوائدها: بيان علم الله ـ عز وجل ؛ لقوله: «ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظامين . ٤ـ ومن فوائدها: أن التأبيد إنما يكون بحسب الحال والقرينة، فلا يكون تأبيدا مطلقا أبدا؛ وذلك لأن أهل النار في النار يتمنون الموت؛ كا قال الله ـ تعالى ـ: * ونادوا يملك ليقض علينا ربك ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وهؤلاء المكذبون لرسول الله ﷺ من بني إسرائيل هم من أهل النار؛ كا قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام -: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن
ت

سورة البقرة

١٣٥٣١

بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النّار»
هـ ومن فوائدها: بيان أن بني إسرائيل أحرص الناس على حياة، وإن كانت حياة زهيدة قليلة؛ لقوله: «ولتجدهم أحرص الناس على حيوة ؟ .
6 ـ ومن فوائدها: أن المشركين أحرص الناس على حياة، ولكن هؤلاء اليهود من بني إسرائيل أشد حرصا على الحياة من المشركين. ـ ومن فوائدها: أن طول العمر لا يغني شيئا إذا لم يكن الإنسان على حق وعلى خير؛ ولهذا جاء في الحديث: «أن رجلا قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وخشن عمله، قال: فأي الناس شر ؟ قال: من طال عمره وساء عمله»(٢).
٨ـ ومن فوائدها: أن عمر الإنسان حقيقة ما أمضاه في طاعة الله، وليس عمر الإنسان ما طال؛ فإن الإنسان قد يكون قصير العمر، ولكن يجعل الله في عمره بركة؛ ينتفع بنفسه وينتفع غيره؛ كما يوجد من بعض العلماء الذين عمروا قليلا، ولكنهم خلفوا خيرا كثيرا للأمة. ـ ومن فوائدها: أنه ينبغي لمن دعا لشخص بطول العمر أن يقرن

(١) سبق تخريجه ص (١٤١)
(٢) رواه الترمذي: كتاب الزهد، باب منه، رقم (٢٣٣٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح»؛ وأورده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٤)، وقال: «رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح؛ والطبراني بإسناد صحيح؛ والحاكم؛ والبيهقي في الزهد وغيره».

= ١٣٥٤١

أحكام من القرآن الكريم

ذلك بطاعة الله فيقول: أطال الله عمرك على طاعته؛ لأن طول العمر بدون طاعة لا يفيد الإنسان شيئا، بل إذا كان في معصية؛ فإنه لا يزيده إلا شرا.
١٠- ومن فوائدها: إثبات عموم علم الله - عز وجل ؛ لقوله: والله بصير بما يعملون ﴾ [البقرة: 96].

ج
وهذا قد دلت عليه النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة؛ حيث دلت على عموم علم الله - سبحانه وتعالى ـ بكل شيء، سواء من أفعاله أو من أفعال عباده، ذكر الله ذلك جملة، وذكره تفصيلاً؛ فذكره جملة مثل قوله - تعالى : (والله بكل شيء عليم ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والتفصيل مثل قوله ـ تعالى ـ: * يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا

يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا * [النساء: ١٠٨]. ومثل قوله ـ تعالى ـ: « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمت الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتب مبين ﴾ [الأنعام: 59] ومفاتح الغيب هي الخمس المذكورة في قوله ـ تعالى ـ: (إن الله عنده علم الساعة ويترك الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير » [لقمان: ٣٤]، وآيات العلم كثيرة في كتاب الله ـ عز وجل ـ.
وكذلك أحاديث النبي ﷺ في علم الله، والفائدة من علمنا بذلك

سورة البقـرة

١٣٥٥١

هي: أن يكون الإنسان مراقبا لربه، يخشى ربه في السر والعلانية، لا يكتم شرا، ولا يقول شرا، ولا يفعل شرا، ولقد قال الله ـ تعالى ـ: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من
حبل الوريد ﴾ [ق: ١٦]؛ فبين الله - سبحانه وتعالى ـ أنه يعلم ما توسوس به نفس الإنسان؛ تحذيرا من أن يضمر الإنسان في قلبه ما لا يرضاه الله ـ عز وجل ـ.

ثم قال - تعالى -: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى ويشترى للمؤمنين (من كان عدوا لله وملتبكيه، ورسله، وجبريل وميكنل فإن الله عدو للكفرين (ولقد أنزلنا إليك عاينت بينت وما يكفر بها إلا
ما
الفسفون - .
في هذه الآيات الكريات يأمر الله نبيه ﷺ أن يقول لكل من كان عدوا لجبريل: «فإنه نزله على قلبك »؛ حيث إن جبريل نزل هذا القـرآن على قلب النبي ﷺ بإذن الله، وأول من صر بأنه عدة لجبريل هم اليهود؛ وذلك لأن جبريل - عليه الصلاة والسلام ـ ينزل بهذا الوحي من عند الله، فيفضحهم، ويبين جبروتهم وطغيانهم؛ فكان عدوا لهم، فأمر الله نبيه بهذه الآية أن يقول: «قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ، ولا يضر جبريل أن يكون

٩٨

١١٣٥٦

هؤلاء عدوا له، وإنها خص الله التنزيل على القلب؛ لأن القلب هو محل الوعي، وهذا كقوله ـ تعالى ـ: (وإنه لتنزيل رب العالمين وي نزل به الروح الأمين ع على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤]. وأما قوله ـ تعالى ـ: «مصدقا لما بين يديه »، فقد سبق الكلام على معناه، وأما قوله: «وهدى وبشرى للمؤمنين »؛ فالمعنى: أن هذا القرآن هدى وبشرى للمؤمنين؛ هدى يهديهم، ويبين لهم الحق،

ويبشرهم بها أعد الله لهم من الثواب والنعيم المقيم على إيمانهم. ثم قال ـ عز وجل : (من كان عدوا لله ومليكته، ورسله وجبريل وميكئل فإن الله عدو للكنفرين»، هذه الجملة الشرطية فيها بيان أن من كان عدوا الله؛ فإنه يكفر، وكذلك من كان عدوا لملائكته رسله، وجبريل، وميكال؛ وجبريل وميكال من الملائكة، ولكنها خصا بالذكر؛ لأن جبريل يتنزل بها فيه حياة القلوب، وميكائيل مأمور بالقطر والنبات وفيه حياة الأرض.
وفي قوله: «فإن الله عدو للكفرين» إظهار في موضع الإضمار؛ إذ كان مقتضى السياق أن يقول: فإن الله عد له، ولكنه أظهر في موضع الإضار؛ لبيان حكم من كان عدوا الله، وملائكته، ورسله، وجبريل، وميكال؛ فإنه كافر، ولأجل أن يكون هذا عاما في كل كافر، سواء أكان كفره بسبب عداوته الله، وملائكته، ورسله، وجبريل، وميكال، أم بسبب آخر، (ولقد أنزلنا إليك ايت بيست وما يكفر بها

سورة البقرة

١١٣٥٧

إلا الفسقون »، يؤكد الله - عز وجل ـ أن الله أنزل إلى رسوله ﷺ آيات بينات، وهي هذا القرآن العظيم الذي بين الله فيه كل ما تحتاجه الأمة في معاشها ومعادها، وما يكفر بهذه الآيات إلا الفاسقون الخارجون عن طاعة الله.

فوائد هذه الآيات الكريمات:
1ـ من فوائدها: إثبات أن جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ نزل بالقرآن الكريم عل قلب النبي ﷺ
٢ـ ومن فوائدها: بيان فضيلة جبريل؛ حيث كان موكلا بتنزيل
الوحي على رسول الله ﷺ

٣ـ ومن فوائدها: أن القلب هو محل الوعي والحفظ. ومن فوائدها أيضا: أن نزول جبريل بالوحي على رسول الله كان بإذن الله الشرعي والقدري، وقد قسّم أهل العلم إذن الله - تعالى ـ إلى قسمين: إذن كوني، وإذن شرعي: فما تعلق بالمخلوقات فهو من الإذن الكوني، وما تعلق بالوحي فهو من الإذن الشرعي، ومثال الإذن الشرعي قوله ـ تعالى ـ: « أم لهم شركتوا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [الشورى: ٢١]، وقوله: « قل الله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ [يونس: 59]، ومثال الإذن الكوني قوله تعالى -: ﴿ وما هم بضارين به، من أحد إلا بإذن الله ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ أي:
بإذن الله الكوني.

٤

أحكام من القرآن الكريم
هـ ومن فوائدها: بيان أن جبريل ـ عليه الصلاة " السلام ـ وإن كان من الملائكة ـ له أعداء من البشر من بني آدم، ومن أولهم اليهود، كا ذكر ذلك المفسرون.
6 ـ ومن فوائدها: أن هذا القرآن لا يهتدي به وينتفع به إلا المؤمن، ولا يكون بشرى إلا للمؤمن، أما غير المؤمن فإنه لا ينتفع بهذا القرآن، ولا يكون القرآن بشرى له.
وفي قوله - تعالى : (من كان عدوا لله وملتبكيه.. » إلى آخر

= ٣٥٨

الآية، من الفوائد:
1ـ أن كل من كان عدوا الله، أو لملائكته، أو لرسله، أو لجبريل وميكال؛ فإنه كافر؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فإن الله عدو للكفرين *. ٢ـ ومن فوائدها: أن كل كافر هو عدو الله - عز وجل ؛ ويشهد لهذا قوله ـ تعالى ـ: « ينأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة: 1].
ج
3ـ ومن فوائدها: أن كل من كان عدوا لله؛ فإنه يجب أن يكون عدوا للمؤمنين؛ لأن من أحب أحدا كان وليا لمن والاه، وعدوا لمن
عاداه.

ثم قال ـ تعالى ـ: « ولقد أنزلنا إليك ايت بينت وما يكفر بها إلا
الفسقون - .

هذه الآية فيها تأكيد من ثلاثة وجوه: اللام، وقد، والقسم المقـدر؛ يؤكد الله - عز وجل ـ فيها أنه أنزل إلى الرسول ﷺ آيات بينات . من فوائد هذه الآية:

١- من فوائدها: تأكيد أن القرآن نزل من عند الله، والآيات في هـذا كثيرة جدا.
٢- ومن فوائدها: أن القرآن آيات بينات، ليس فيهـا غـمـوض ولا إشكال.
3- ومن فوائدها: الرد على من قال: إن في القرآن آيـات مـشتبهات لا يعلم معناها الناس؛ فإن جميع آيات القرآن الكـريـم معلومة المعنى، وليس فيها شيء مجهول المعنى لجميع الأمة، فلو كان فيهـا شيء مجهـول المعنى لجميع الأمة لم يكن القرآن بيانا، بل كان بعضه بيانا وبعـضـه غـير بيان.

٤- ومن فوائدها: أنه لا يكفر بهذه الآيات التي أنزلها الله على محمـد إلا الفاسق الخارج عن طاعة الله ـ عز وجل ـ 5- ومن فوائدها: أن كل من كـان أطـوع الله ـ عـز وجـل ـ وأقـوم لطاعته؛ كان ظهور الآيات الكريات في القرآن أبين عنـده وأوضـح؛ لأن الحكم إذا رتب على شيء ـ أي: على وصـف ـ فإنـه يثبـت بثبوتـه، وينتفي بانتفائه.
6 - ومن فوائدها: أنه يجب علينا أن نعتني بهذا القرآن الكريم، وأن

نستبين ما فيه من الآيات؛ حتى ننتفع بـه، وحتى يـكـون منهجانسير عليه في اعتقاداتنا، وفي عباداتنا، وفي معاملاتنا؛ فإن هذا القرآن شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين.

لا
ثم قال ـ تعالى ـ: «أوكلما عهدوا عهدا نبذه، فريق منهم بل

أكثرهم لا يؤمنون (*.

ع

يقول الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية موبخا هؤلاء القوم؛ بنبذ فريق منهم لما عاهدوا عليه ـ: «أوكلما عهدوا عهدا نبذه، فريق منهم * ثم يبين أن هذا النبذ بالعهد؛ لكون أكثرهم لا يؤمنون (بل أكثرهم لا
يؤمنون .

أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:

ا ـ توبيخ من عاهد عهدا فنبذه.

٢ ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه إذا وقع الخطأ من بعض قوم؛ فإنه لا ينسب الخطأ إلى الجميع، بل العدل أن يشار إلى أن هذا الذي حصل إنا
كان من فريق منهم؛ لئلا يلحق العار جميع القوم مع براءة بعضهم م ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن نقض العهد علامة على نقص الإيمان؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أن من خصال النفاق الغدر بالعهد.

سورة البقرة

361

ثم قال الله ـ تعالى ـ: «ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتب كتب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

وهذه الآية كسابقتها، فيها التوبيخ لهؤلاء القوم الذين عرفوا الحق، ولكن فريقا منهم نبذه، وكأنهم لا يعلمون به، فيقول ـ جل وعلا ـ: ولما جاءهم رسول من عند الله »؛ وهو محمد «مصدق لما معهم، وذلك من وجهين:

الأول: أن القرآن شهد بصدق ما جاء به موسى وعيسى ـ عليها الصلاة والسلام -.

والثاني: أنه صدق ما أخبرا به عن هذا الرسول الذي بشر به بنو إسرائيل؛ كما قال عيسى ابن مريم: « ينبني إسراءيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من الثورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينت قالوا هذا سخر مبين ﴾ [الصف: 6]. ويبين الله - عز وجل ـ في هذه الآية ـ أعني آية البقرة ـ أنه لما جاءهم هذا الرسول المصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله ﷻ راء ظهورهم، ولم يقل: «نبذ فريق منهم» بل

قال: «من الذين أوتوا الكتب» ؛ زيادة في التشنيع عليهم؛ حيث أوتوا الكتاب وعرفوا الحق، ولكنهم نبذوه، والذي نبذه فريق منهم، ومنهم من آمن به وصدقه؛ كالنجاشي ـ رحمه الله ـ وكعبدالله بن سلام ـ رضي الله عنه

٣٦٢

أحكام من القرآن الكريم

؛ فالنجاشي كان من النصارى، فلا بلغته رسالة النبي ﷺ آمن به وعبدالله بن سلام كان من اليهود، فلا قدم النبي ﷺ المدينة أتى إليه، وآمن به، ولم يكن كل اليهود أو النصارى كفروا بمحمد ﷺ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ثم يبين الله ـ عز وجل ـ أن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون الحق، كأنهم جهال به
وهم عالمون به.

أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:
١ـ صدق رسالة النبي ﷺ؛ لقوله: « ولما جاءهم رسول من عند الله * .
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن رسول الله ﷺ مرسل إلى بني إسرائيل، كما أنه مرسل إلى الأميين ـ وهم العرب ـ، بل وإلى الناس أجمعين؛ قال الله ـ تبارك وتعالى -: (قل يأيها الناس إلى رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يخيء ويميت فقامنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلمته واتبعوه لعلكم تهتدون ۞ [الأعراف: 158]، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من

سورة البقرة

١٣٦٣١

أصحاب النّار» (١).
3- ومن فوائدها وأحكامها: أن رسول الله ﷺ كان مصدقا لما جاءت به الرسل السابقة؛ أي: مقرا بأنها صدق، وشاهدا بصدقها؛ حيث أخبرت به فجاء طبقا لما أخبرت به.
4- ومن فوائدها وأحكامها: قيام الحجة على بني إسرائيل؛ حيث كان محمد ﷺ مصدقا لما معهم، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب

الله وراء ظهورهم. هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم من بني إسرائيل نبذوه عن علم؛ لأنهم أوتوا الكتاب وعرفوا الحق، وقد بين الله ـ تعالى ـ أنهم يعرفون محمدا ﷺ كما يعرفون أبناءهم، وهذا أشد لوما، وتوبيخا، وجريمة ممن لا يعلم ولم يؤت من الكتاب شيئا.

6- ومن فوائدها وأحكامها: أن نبذ هؤلاء الفريق من الذين أوتوا الكتاب نبذ لا يرجى معه إقبال؛ لقوله: « تبذ فريق من الذين أوتوا الكتب كتب الله وراء ظهورهم ، والذي ينبذ كتاب الله وراء ظهره

في الدنيا؛ يؤتى كتابه يوم القيامة من وراء ظهره؛ جزاء وفاقا. - ومن فوائدها وأحكامها: أن من نبذ عن علم أشد قبحًا ولوما

(١) سبق تخريجه ص (١٤١)

ممن نبذ عن جهل؛ ولهذا قال: «كأنهم لا يعلمون ؟. هـ ومن فوائدها وأحكامها: التحذير من رد الحق بعد العلم به؛ لأن الله ساق هذه الآية على وجه اللوم والتوبيخ لهؤلاء الذين نبذوا الحق بعد أن عرفوه.

ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من نبذ الحق بعد العلم به؛ ففيه شبه من بني إسرائيل من اليهود والنصارى الذين ردوا الحق بعد أن
علموا به.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « واتبعوا ما تتلوا الشيطين على ملك سليمين وما كفر سليمين ولكن الشيطين كفروا يعلمون الناس الشخر وما أنزل على الملكين ببابل هنروت ومروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به، بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به، من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن أشترنه ما له في الآخرة من خلق وليئست ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون .

ج

في هذه الآية يبين الله ـ تعالى ـ أن قوما من بني إسرائيل اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان؛ وكانت الشياطين تتلو ما تتلوه من أنواع السحر، بل ومن أنواع الكفر أيضا، فتمليه على الناس با تلقيه في قلوبهم من ذلك.

ام

سورة البقرة
وقوله: «على ملك سليمان »؛ لأن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام قد آتاه الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وسخر له الريح، وسخر له الشياطين كل بناء وغواص، وسليان هو ابن داود، وهو من أفضل أنبياء بني إسرائيل، وهو من بعد موسى بأزمنة طويلة، يقول ـ عز وجل : «كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السخر»؛ يعني: أن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يعلم الشياطين ما تتلوه من السحر فيكون بذلك كافرا، بل هو ـ عليه الصلاة والسلام ـ نبي رسول معصوم من الكفر؛ ولهذا قال: «وما كفر شليمن ولكن الشياطين كفروا ؟ ومن كفر هم أنهم يعلمون الناس السحر؛ والسحر ـ بالشعوذة، ودعاء الشياطين، والاستعانة بهم على إيذاء الخلق نوع من الكفر؛ ولهذا قال: «ولكن الشيطين كفروا يعلمون الناس
الشخر.

٣٦٥

ع
يعني:
قال: «وما أنزل على الملكين ببابل هنروت ومروت »؛ أن ما أنزل على الملكين ببابل ـ وبابل اسم مكان ـ، والملكان أحدهما هاروت، والثاني ماروت، وهما ملكان من الملائكة أنزلها الله - عز وجل ـ إلى الأرض؛ من أجل اختبار الناس، يعلمان الناس السحر بأمر الله ـ عز وجل ، ولكنها ـ كما قال الله ـ تعالى ـ: «وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر »، فيتعلم الناس منها على بصيرة وعلى علم، يتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه من السحر، وهو
ما

366

أحكام من القرآن الكريم

يسمى بالعطف والصرف، وهو نوع خبيث من أنواع السحر، ومن أشد أنواع السحر ضررا؛ حيث يفرق به بين المرء وزوجه، ومن المعلوم أن الصلة بين المرء وزوجه من أقوى الصلات؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ومن اينته، أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » [الروم: ٢١]، فهذان الملكان يعلان الناس، ويقولان: «إنما نحن فتنة فلا تكفر ، ولكن بعض الناس يصمم على أن يتعلم، وهذا من اختبار الله ـ عز وجل ـ لعباده، «فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به، من أحد إلا بإذن الله *؛ أي: أن ما يحصل من الضرر بالسحر صادر عن إذن الله وإرادته ـ عز وجل ـ ولو شاء الله ـ تعالى ـ لم يؤثر السحر شيئا؛ ولهذا قال: «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ؟. ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم»؛ يعني: يتعلمون من السحر ما هو ضرر لهم في دينهم ودنياهم، ولا ينفعهم، وإن قدر أنهم انتفعوا به في الدنيا فإن ضرره أكبر من نفعه، قال الله ـ تعالى ـ: «ولقد علموا لمن أشكرنه ما له في الآخرة من خلق»؛ يعني: علم هؤلاء الذين أصروا على تعلم السحر أن من اشتراه ـ أي: تعلمه ـ ما له في الآخرة من خلاق؛ يعني: ليس له في الآخرة نصيب؛ وذلك لأنه أتى الكفر؛ والكافر ليس له نصيب في الآخرة، إنها يمتع في الدنيا كا تمنع الأنعام، والنار مثوى له، قال الله ـ تعالى -: (وليس ما شروا به
وقوله:

سورة البقرة

١٣٦٧

أنفسهم لو كانوا يعلمون »، في هذا قدح لهذا العلم الذي تعلموه، وأنه جدير بالذم والتقبيح؛ ولبس ما شروا به أنفسهم » أي: لبئس ما باعوا به أنفسهم، وهو هذا السحر الذي تعلموه، ثم قال: «لو كانوا يعلمون »؛ يعني: لو كانوا من ذوي العلم لعرفوا قبحه وابتعدوا عنه، ولم يحاولوا تعلّمه، هذا معنى الآية إجمالا، أما ما يستفاد
منها من الأحكام والفوائد فكثيرة.

أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:
1ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ سخر الشياطين لسليمان، وامتحن الناس بهم؛ لقوله: «واتبعوا ما تتلوا الشيطين على ملك سليمين ٢ـ ومن فوائدها: أن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكفر بكفر هؤلاء الشياطين الذين تعلموا السحر، وصاروا يتلونه ويلقونه على الناس؛ وذلك لأن الأنبياء معصومون من الكفر والشرك. 3ـ ومن فوائدها: أن العمل بالسحر كفر؛ لقوله ـ

تعالى ـ: «ولكن الشياطين كفروا .
٤ـ ومن فوائدها: أن تعليم الناس السحر من الكفر؛ لقوله ولكن الشيطين كفروا يعلمون الناس السُخره، والسحر نوعان: النوع الأول: سحر الشياطين الذي يكون بالاستعانة بهم، والتعوذ بهم، والالتجاء إليهم، وهذا كفر لا شك فيه.
والثاني: سحر بالأدوية، والأوراق، والأشجار، وما أشبه ذلك مما

أحكام من القرآن الكريم

لا علاقة للشياطين به، فهذا لا يصل إلى حد الكفر، لكنه محرم تحريا شديدا؛ لما يحصل فيه من الأذية والضرر على الغير، وإذا ثبت السّحر على شخص: فإن كان من النوع الأول فإنه يقتل كفرا وردة، وإن كان من النوع الثاني فإنّه يقتل؛ لاتقاء شره وأذيته على المسلمين. هـ
ومن فوائدها: أن الحق ما أذن الله فيه وأمر به، ولو كان في نفسه باطلاً؛ فهذان الملكان نزلا إلى الأرض؛ ليعلها الناس السحر، وتعليم السحر ـ كما سبق ـ كفر، لكن الله ـ عز وجل ـ أباح لهذين الملكين أن يعلمها الناس من أجل هذا الامتحان الذي حصل بتعليمها، والشيء قد يكون كفرا، وقد يكون طاعة، ولو كان واحدا من نوعه، وأضرب لهذين مثلين:

المثل الأول: السجود لغير الله كفر وشرك، وإذا سجد الإنسان لغير الله بأمر الله كان عبادة؛ ألم تر قول الله ـ عز وجل -: (وإذ قلنا للملتبكي اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [البقرة: 34]، فهنا نجد السجود لغير الله كان طاعة وعبادة؛ لأن الله أمر به، ويكون شركا في الحالة التي لم يأمر الله به فيها.

والمثل الثاني: قتل النفس فإنه من كبائر الذنوب، ولا سيما إذا كان المقتول من أقارب القاتل، ومع ذلك كان طاعة يمدحُ عليه، وذلك كا في قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل؛ فإن إبراهيم رأى في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل، فقص الرؤيا على ابنه؛ فقال: « يتأبت أفعل ما تؤمر

ستجدني إن شاء الله من الصبرين ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فأسلما أمرهما الله، واستسلا لقضاء الله ﷻ شرعه، فلا تل ابنه للجبين ليذبحه؛ جاء الفرج من الله ـ عز وجل - : (وندينه أن يتإبرهيم قد صدقت الرنيا إنّا كذالك تجزى المحسنين لي إن هذا هو البلتؤا المبين ﴾ [الصافات:

104 - 106].

فامتحن الله إبراهيم بأمره بقتل ابنه حتى أسلم الله وانقاد؛ فصار ذبح ابنه طاعة الله، ولكن الله - عز وجل ـ تداركه بلطفه وإحسانه فكتب له أجر الممتثل، وقال له: (قد صدقت الرنيا إنا كذالك نجزى المحسنين »، فالملكان اللذان نزلا يعلمان الناس السحر نزلا بأمر الله، وبإذن الله، فكان تعليمها للسحر طاعة الله ـ عز وجل ـ، لكنه ـ باعتبار المعلم ـ كفر؛ ولهذا قال: «وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر.

6 ـ ومن فوائدها: أن الله ـ تعالى ـ قد يسر للإنسان أسباب المعصية؛ ليبلوه هل يعصي الله أم لا يعصى الله؟ فالله - سبحانه وتعالى ـ قد يسر للناس تعلم السحر بما أنزل على الملكين، وبها بذلاه من أنفسها لتعليم
الناس.
ـ ومن فوائدها: أنه يجب أن يبين الأمر لطالبه على وجه صريح، لا لبس فيه؛ فإن هذا من تمام النصح والبيان؛ لأن الملكين لا يعلمان من أحد حتى يقولا: «إنما نحن فتنة فلا تكفره، فيبينان حالها، وحال

المتعلم منها؛ يبينان حالها أنها نزلا فتنة، ويبينان حال المتعلم منها بأن
تعلمه كفر.

هـ ومن فوائدها: أن من أعظم أنواع السحر التفريق بين الرجل وزوجته؛ لقوله: « فيتعلمون منهما ما يفرقون به، بين المرء وزوجه ، وهذا ما يسمى بالعطف والصرف؛ فإن من أنواع السحر ما إذا شجر به الإنسان انعطف على غيره انعطافا بالغا شديدا لا يملك أن يتصرف بنفسه معه، حتى يكون وراء هذا الشخص الذي عطف عليه؛ كما تكون الشاة وراء الراعي الذي يدعوها، ومن السحر ما يكون بالعكس، يوضع للشخص ليفرق بينه وبين

حبيبه؛ مثل أن يفرق بينه وبين زوجته، فيصبح يرى زوجته وكأنها من أعدى أعدائه أو العكس، وهذا من أشد أنواع السحر إيذاء وضررا. 9ـ ومن فوائدها: أن ما يقع من تأثير السحر إنها يقع بأمر الله ـ عز وجل ـ وإرادته؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن

١٠ـ ومن فوائدها: أنه متى لجأ الإنسان إلى ربه، واستعاذ به واستغاثه من الأمر الذي نزل به؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ قادر على أن يصرفه عنه، ولو كان قد نزل به الشر؛ لقوله ـ تعالى ـ: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله *
١١- ومن فوائدها: الإشارة إلى أنه ينبغي للمسحور أن يلجأ إلى

سورة البقرة

٣٧١

الله ـ تعالى ـ وأن يسأله رفع ما نزل به بصدق، وإخلاص، وضرورة؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول: « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أوله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ [النمل: ٦٢]، وقد يكون لجوء الإنسان إلى الله ـ في الحال التي يصاب فيها بالسحر ـ وشدة تضرعه إليه من أقوى الأدوية تأثيرا إن لم يكن أقوى الأدوية تأثيرا؛ ولهذا لما شجر النبي ﷺ بسحر عظيم؛ أنزل الله عليه سورتي المعوذتين: « قل أعوذ برب الفلق» و« قل أعوذ برب الناس » ؛ فرقاه بها الملك؛ فشفاه الله ـ تعالى ـ من ذلك. ١٢ـ ومن فوائدها: أنّ السحر ضرر على الساحر كما هو ضرر على غيره، وإن ظن الساحر أنه ينتفع بذلك، وأنه يكسب من ورائه؛ فإنّ هذا الكسب الذي حصده كسب خبيث لا يزيده من الله إلا بعدا، ولا يزيده إلا خسارا؛ ولهذا قال: « ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم». ١٣ـ ومن فوائدها: أن الساحر كافر؛ لقوله ـ تعالى -: (ولقد علموا لمن أشترنه ما له في الآخرة من خلقه . ١٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: تقبيح ما حصل من هؤلاء من تعلم السحر؛ حيث قال: «ولبس ما شروا به أنفسهم. ١٥ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء باعوا أنفسهم وخسروها؛ من أجل تعلم هذا السحر القبيح الذي وصفه الله بقوله: «ولبئس ما شروا به أنفسهم؟ .

أحكام من القرآن الكريم

١٦ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء الذين اختاروا تعلم السحر وأهلكوا أنفسهم به كانوا من أجهل الناس، سواء علموا ذلك أو لم يعلموه، مع أن قوله: (ولقد علموا لمن أشترنه ما له في الآخرة من خلق » يدل على أنهم يعلمون أن الساحر ليس له نصيب في

الآخرة، فيكونون قد خالفوا وعصوا على بصيرة ـ والعياذ بالله.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (ولو أنهم ءامنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون *
في هذه الآية يعرض الله ـ عز وجل ـ على هؤلاء الذين كفروا بتعلم السحر، يعرض الله ـ عز وجل ـ عليهم الإيمان والتقوى، ويبين أن المثوبة التي عند الله لهم بإيمانهم وتقواهم خير مما يحصلونه في الدنيا من جزاء السحر لو كانوا من ذوي العلم. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا ـ سعة فضل الله - عز وجل -، وإحسانه، وكرمه؛ فهؤلاء الذين
عتوا وبغوا على الخلق بما يتعلمونه من السحر، ويضرون به الناس يعرض الله عليهم أن يؤمنوا ويتقوا؛ حتى يكون لهم المثوبة، وهذا
أنموذج من نماذج سعة رحمة الله، وفضله، وإحسانه؛ ومن نماذجه: أن الله ـ تعالى ـ قال في سورة البروج (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنت ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهم ولهم عذاب الحريق﴾ [البروج: ١٠]؛

ورة البقرة

٣٧٣

فهؤلاء الذين قتلوا أولياءه وأحرقوهم في النار يعرض الله عليهم التوبة فيقول: «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهم ولهم عذاب الحريق ، فلو تابوا لنجوا من عذاب النار، هؤلاء أيضا لو أنهم آمنوا ـ أعني: الذين تعلموا السحر وأضروا الناس به ـ لو أنهم آمنوا واتقوا؛ لمحا الله عنهم الآثار السيئة لهذا السحر، وأثابهم على ذلك، وكان خيرا لهم.

٢ ـ ومن فوائدها: أن ما عند الله من الثواب خير مما يحصل في الدنيا من المكاسب، وهذا ظاهر بالأثر والنظر؛ أما الأثر فقد بين الله ـ تعالى ـ في غير آية أن الآخرة خير من الدنيا؛ فقال الله ـ تعالى ـ: * بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ [الأعلى: 16، 17]، وقال للنبي ﷺ: ﴿ وللأخرة خير لك من الأولى ﴾ [الضحى: 4]، وقال ـ تعالى ـ: « وما عند الله خير وأبقى ﴾ الآية [الشورى: 36]؛ يعني: لمن اتقى، والآيات في هذا كثيرة، وقال النبي ﷺ: «... وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها...» (ا)، وهنا قال ـ تعالى ـ: «لمثوبة من عند الله

3 ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء الذين تعلموا السحر ـ مع علمهم بأن من اشتراه لا خلاق له في الآخرة ـ من ذوي الجهالة،

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، رقم (٢٨٩٢)

١٣٧٤١

أحكام من القرآن الكريم

وكأنهم لا يعلمون؛ لذا قال: «لو كانوا يعلمون .
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: الحث على العلم والعمل به، وأن من لم يعمل بعلمه فهو كالجاهل، بل أشد قبحا من الجاهل؛ لأن الجاهل قد يعذر، وقد يستقيم إذا علم الحق، بخلاف من خالف الحق مع علمه به؛ فإنه ليس بمعذور، ورجاء رجوعه إلى الحق بعيد.

ثم قال - تعالى -: « ينأيها الذين ءامنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وأسمعوا وللكفرين عذاب أليمات .

يخاطب الله ـ تعالى ـ المؤمنين بصفة الإيان؛ لينهاهم عن هذه الكلمة التي كانت اليهود تقولها لرسول الله ﷺ «رعنا ؛ يريدونها من الرعونة لا من الرعاية، فتكون «رعنا »؛ يعني: «إنك ذليل»، وليس المراد الرعاية؛ فنهى الله عباده المؤمنين أن يقولوا هذه الكلمة، ولكنه أرشدهم إلى كلمة خير منها، وهي بمعناها قال: «وقولوا أنظرنا واسمعوا وللكفرين عذاب أليمه؛ يعني: اسمعوا ما نهيتكم عنه،

ولا تخالفوه؛ فإن مخالفته من الكفر.
وللكفرين عذاب أليمه؛ أي: مؤلم؛ لأنه شديد ـ والعياذ بالله ـ كا بين الله ـ تعالى ـ شدة عذاب النار في آيات كثيرة من القرآن، وبينها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة من السنة.
في هذه الآية الكريمة يخاطب الله المؤمنين بوصف الإيمان ويناديهم

سورة البقرة

بقوله: «يتأيها الذين امنوا).

٣٧٥١

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ أن من خصال المؤمن أن يمتثل؛ لأنه مؤمن؛ والمؤمن يهديه إيانه إلى امتثال أمر الله ـ عز وجل ـ.
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه ينبغي أن ينادى الإنسان بأحب الأوصاف إليه، ولا شك أن أحب أوصاف المؤمن إليه أن ينادى بإيمانه.

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن مخالفة ما ذكر نقص في الإيان، وأن موافقته من مقتضى الإيان؛ ولهذا وجه الخطاب إلى المخاطب بوصف الإيمان.
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: تحريم الخطاب بالكلمات المحتملة للحق والباطل بالنسبة لرسول الله ﷺ ؛ ولهذا قال: «لا تقولوا راعنا .

هـ ومن فوائدها: النهي عن مشابهة غير المؤمنين؛ لأن هذا الخطاب «راعنا» مما يدندن به اليهود إذا خاطبوا النبي ﷺ ومن فوائد وأحكام قوله: «وقولوا أنظرنا ؟ : 1ـ أنه إذا ذكر باب ممنوع مسدود أمام الناس؛ فإن الحكمة تقتضي أن يذكر لهم ما يستغنون به عنه من الأشياء المباحة؛ ولهذا قال: «وقولوا انظرنا ← ؛ فهو لم ينههم ويجعلهم عائمين لا يدرون ما يقولون، بل

أرشدهم إلى القولة المباحة؛ وهي قوله: «انظرناه، فإذا نهيت الناس عن شيء يحتاجون إليه فافتح لهم بابا يغني عنه؛ حتى يسهل تركهم لما نهوا عنه، وفعلهم هذا الذي أرشدوا إليه، ونظير ذلك ما ثبت في الصحيح: «أن رسول الله ﷺ أتي إليه بتمر جيد؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: كنا نأخذ الصاع بالصاعين، والصاعين بالثلاثة ـ أي: نأخذ الصاع من هذا التمر بالصاعين من الرديء، والصاعين بالثلاثة ـ فأخبرهم النبي أن هذا عين الربا)، وأرشدهم إلى أن يبيعوا التمر الرديء بالدراهم، ثم يشتروا بالدراهم تمرا جيدا، ومنعهم من أخذ الصاع بالصاعين أو الصاعين بالثلاثة؛ لأنه ربا؛ فإن بيع التمر بالتمر يجب فيه التساوي في الكيل والتقابض في مجلس العقد، ولما أخذوا الصاع بالصاعين لم يلتزموا بالتقابض؛ فأرشدهم النبي ﷺ وبين لهم أن هذا ممنوع، وأرشدهم إلى البيع المباح بأن يبيعوا التمر الرديء بالدراهم، ويشتروا بالدراهم تمرا جيدا، وهذا نظر هذه الآية الكريمة: «لا تقولوا رعنا ؟ هذا ممنوع، «وقولوا

أنظرنا هذا بدل عنه. ٢ـ ومن فوائدها: وجوب السمع والطاعة لأوامر الله ـ عز وجل ؛ لقوله ـ تعالى ـ: (وأسمعوا .

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول ومن غير علم...، رقم (٧٣٥٠، ٧٣٥١)؛ ومسلم: كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل، رقم (١٥٩٣).

سورة البقرة

١٣٧٧

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: ثبوت الجزاء على العمل؛ لقوله: وللكفرين عذاب أليمه.
٤ـ ومن فوائدها: أن مخالفة أمر الله ورسوله من الكفر؛ لأنه أعقب النهي عن قول: «راعنا» والإذن في قول: «انظرنا» ـ أي: الإرشاد إليه والأمر بالسماع ـ بقوله: (وللكفرين عذاب أليم؛ فدل هذا على أن المخالفة لأمر الله ـ عز وجل ـ نوع من أنواع الكفر.

ثم قال الله - تعالى -: « ما يود الذين كفروا من أهل الكتب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله مختص برحمته، من يشاء والله ذو الفضل العظيم (.
«ما يود »؛ يعني ما يحب «الذين كفروا من أهل الكتب»؛ وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ (ولا المشركين »؛ يعني: ولا الذين كفروا من المشركين، لا يودون أن ينزل إلى رسول الله ﷺ وأمته من خير؛ لأنهم حسدة؛ والحاسد لا يحب أن ينزل الله الخير على غيره؛ ولهذا قال: «من خير من ربكم، ثم قال: «والله تختص برحمته، من يشاء »؛ أي: يخص من شاء من عباده رحمة خاصة غير الرحمة العامة لجميع الخلق؛ لأن رحمة الله - عز وجل ـ نوعان: رحمة عامة: تشمل جميع الخلق حتى الكفار؛ فإن الله ينزل عليهم الغيث، ويخرج لهم الزرع، ويكثر لهم المال والولد، وهذه رحمة ـ وكذلك يفعل بالمؤمنين ـ

٣٧٨

أحكام من القرآن الكريم

والرحمة العامة رحمة متعة فقط، يستوي فيها جميع الخلق حتى البهائم. أما الرحمة الخاصة: فهي التي قال الله عنها: (فسأكتبها للذين يثقون ويؤتون الزكوة والذين هم بقاينينا يؤمنون

﴿ [الأعراف: 156]، ويقول الله - عز وجل -: «والله مختص برحمته من يشاء ؛ يعني: فليس

لأحد أن يحجر على الله أن ينزل فضله على من يشاء من عباده . * والله ذو الفضل العظيمة؛ أي: صاحب الفضل العظيم، العظيم كمية، والعظيم كيفية، والعظيم شمولا في المكان، وشمولا في الزمان، فبين الله - عز وجل ـ في هذه الآية حقد الكفار من المشركين، واليهود، والنصارى الذي بلغ بهم إلى هذا الحد.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1- بيان أن اليهود، والنصارى، والمشركين لا يودون الخير للمسلمين، وهذا ليس خاصا بزمن الرسول؛ بل هو عام إلى يوم القيامة؛ لأن الكفار من اليهود، والنصارى، والمشركين أعداء لنا، وأعداء لربنا، وأعداد لكتابنا، وأعداء لرسولنا، ومن كان كذلك فإنه لا يمكن أبدا أن يحب نزول الخير إلينا.

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: الحذر من مكر الكفار من اليهود، والنصارى، والمشركين؛ فلا نغتر با يبذلونه لنا من حلاوة اللسان، وإظهار انشراح الصدر بنا؛ لأنهم إنا يفعلون ذلك من أجل خير عائد عليهم أكثر مما يتحملونه من كراهتهم للخير النازل إلينا؛ أو لأنهم

سورة البقرة

١٣٧٩

يتربصون بنا الدوائر حتى يقضوا على ما لنا من الخير. ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من كره الخير للمؤمنين عموما، أو لبعض منهم على سبيل الخصوص؛ فإن فيه شبها من اليهود، والنصارى، والمشركين.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: تحريم كراهة نزول الخير للمؤمنين، وكراهة نزول الخير للغير هو الحسد؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: إنّ التفسير الصحيح للحسد ليس أن يتمنى الإنسان زوال نعمة الله على غيره، ولكن التفسير الصحيح هو أن يكره الإنسان ما أنزل الله على غيره من الخير، سواء تمنى زواله أو لم يتمن، وهذا التفسير ـ لشيخ الإسلام ـ هو الأقرب.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان ما منح الله هذه الأمة من الربوبية الخاصة؛ ولهذا قال: «من خير من ربكم »، وربوبية الله لعباده

هي
المؤمنين ربوبية خاصة، والربوبية نوعان: عامة وخاصة؛ فالعامة: الشاملة لجميع الخلق؛ ومنها: قوله - تعالى -: الحمد لله رب العلمين [الفاتحة: ٢].

والخاصة: هي الربوبية المضافة للمؤمنين أو للرسل؛ مثل قوله عن عباد الرحمن: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾ [الفرقان: ٧٤].
فإن هذه الربوبية خاصة، وقد اجتمع النوعان في قوله ـ تعالى ـ:

٣٨٠

قالوا ءامنا برب العالمين و رب موسى وهرون [الأعراف: ١٢١، ١٢٢]؛ فقوله: «برب العالمين * هذه الربوبية العامة، وقوله: * رب موسى وهنرون ← هذه الربوبية الخاصة.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن فضل الله ـ عز وجل ـ قـد يختص لأناس دون آخرين؛ لقوله: «والله تختص برحمته من يشاء . ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات المشيئة الله؛ لقوله: «والله تختص برحمته من يشاء .
ع

أحكام من القرآن الكريم

ولا شك أن ما كان من أفعال الله؛ فإنه صادر عن مشيئة منه ـ عز وجل -، وكذلك ما صدر من أفعال العباد؛ فإنه صادر عن مشيئة منه وإذن منه بذلك؛ كا مر علينا في قوله: * وما هم بضارين به، من أحد إلا بإذن الله ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٢٨

فكل شيء يقع في السموات والأرض ـ من أفعال الله أو أفعال الخلق -؛ فإنه واقع بمشيئة الله؛ قال الله ـ تعالى ـ: «لمن شاء منكم أن يستقيم ع وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، ولكن هل في هذه الآية وما في معناها من النصوص حجة للعاصي على معصيته؛ بحيث يقول: إن معصيتي الله ليست بمشيئتي ولكنها بمشيئة الله؛ لأن الله ـ تعالى ـ يقول: «لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، ويقول ـ عز وجل : « ولو شاء الله ما أشركوا ﴾ [الأنعام: 107]، ويقول:

ولو شاء الله ما أقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينت ولكن اختلفوا فمنهم من ءامن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما أقتتلوا »
[البقرة: ٢٥٣]؟.

وجوابنا على هذا أن نقول: ليس للعاصي حجة على معصيته؛ لأن الله ـ تعالى ـ أمده وأعده؛ أمده بالعقل؛ وأعده لمعرفة الهدى والحق، وأرسل إليه الرسل، وقد قطع الله الحجة على الخلق بإرسال الرسل؛ فقال ـ تعالى ـ: « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمًا ﴾ [النساء: 165].

فالعاصي ليس له حجة على معصيته، بل ليس له حجة على الله في معصيته؛ لما ذكرنا؛ ولهذا نجد العاصي يختار من الأمور ما شاء، ويقدم عليه؛ يختار أن يسافر إلى مكة، يختار أن يسافر إلى المدينة، يختار أن يسافر إلى البلد الفلاني أو الفلاني بإرادته وقدرته، ولا يحتج بالقدر على ذلك، فإذا كان هكذا فلم يحتج بالقدر على معصية الله ولا يحتج بالقدر على السفر، والذهاب، والمجيء، والأكل، والشرب، واللباس، وغير هذا؟ ثم إن القدر سر مكتوم لا يعلم عنه إلا بعد وقوعه، فكيف يحتج العاصي بالقدر على معصيته قبل أن تقع المعصية؟ لماذا لم يقدر هذا العاصي أن الله كتب له أن يكون من المتقين؟ فيتقي الله ـ عز وجل ؛ ولهذا أبطل الله هذه الحجة في قوله: « سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشتركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من

ل
قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ع فل فلله الحجة البلغة » [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩].
فهنا قال الله ـ تعالى ـ: «حتى ذاقوا بأسنا»، ومن المعلوم أنهم لن يذوقوا بأس الله إلا حين يرتكبون معصيته، وتبطل حجتهم با احتجوا به من مشيئة الله ـ عز وجل ـ.

٨ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات أن الله ـ تعالى ـ موصوف بالفضل العظيم؛ حيث قال ـ تعالى ـ: «والله ذو الفضل العظيمه. 9 - ومن فوائدها وأحكامها: أنه لا يليق بالإنسان أن يطلب الفضل من غير الله؛ بل يجب أن يطلب الفضل من الله وحده؛ لقوله ـ تعالى ـ: «والله ذو الفضل العظيمة، والإنسان إذا طلب الفضل من الله؛ فقد طلب الفضل من أهله؛ وهو ـ عز وجل ـ أكرم الأكرمين وأجود الأجودين، فإذا دعاه الإنسان وسأله من فضله بنية صالحة، وعزم صادق، وافتقار إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ سهل الله أمره، وآتاه من فضله.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت يخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير و ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصيرات ؟ .

سورة البقرة

١٣٨٣

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ما ننسخ من ءاية ؛ النسخ بمعنى الرفع والإزالة؛ أي: ما نرفع آية أو حكمها؛ إلا أتينا بخير منها أو مثلها؛ وذلك أن النسخ يكون إلى ما هو خير من المنسوخ، أو إلى ما هو مثله، أو إلى ما هو دونه؛ فأما النسخ إلى ما هو خير من المنسوخ فلا ريب في أنه خير، والنسخ إلى مثل المنسوخ لا ريب أنه خير؛ لأنه يكون مماثلا للمنسوخ من حيث العمل، ولكنه ليس مماثلا له من حيث النتيجة، والثواب، والأجر ـ كما سنبينه ـ إن شاء الله ـ تعالى ـ؛ وأما النسخ إلى ما هو دونه فإن ذلك لن يكون، ولن يليق بحكمة الله ـ عز وجل ـ؛ لأن النسخ إلى ما هو دون المنسوخ يكون تدنيا من الأعلى إلى الأسفل؛ وهذا لا يليق بجلال الله ـ عز وجل ـ.
يقول ـ عز وجل ـ: « ما ننسخ من ءاية »؛ أي: ننسخ لفظها أو حكمها، أو ننسها »؛ أي: ننسها رسول الله ﷺ ؛ حتى لا يذكرها، ما يحصل هذا إلا أتى الله بخير منها أو مثلها؛ بخير منها عملا

وثوابا، أو مثلها عملا وخير منها ثوابا، ثم قال: «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»، ومن قدرته ـ عز وجل ـ أن يمحو ما يشاء ويثبت، وينسخ ما يشاء ويحكم.
ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، وإذا كان له ملك السموات والأرض فهو ـ عز وجل ـ له التدبير المطلق في هذا الملك، ولا أحد ينازعه في ملكه، لا تقديرا ولا تدبيرا، (وما لكم من

أحكام من القرآن الكريم

دون الله من ولي ولا نصير؛ فهو الذي يتولى أموركم، وهو الذي ينصركم إذا استنصرتموه وقمتم بأسباب النصر، هذا هو معنى الآيتين
الكريمتين.

فوائد وأحكام هاتين الآيتين الكريمتين:
١- ثبوت النسخ في آيات الله ـ عز وجل ؛ وهو رفع الحكم أو اللفظ، أو اللفظ والحكم جميعا؛ فالنسخ يكون على ثلاثة أقسام: نسخ اللفظ وبقاء الحكم، ونسخ الحكم وبقاء اللفظ، ونسخها جميعا؛ فأما نسخ اللفظ وبقاء الحكم فمثل له العلماء بآية الرجم؛ أي: بآية رجم الزاني إذا زنى وهو محصن؛ فإنه يرجم بالحجارة حتى يموت، سواء أكان رجلا أم امرأة؛ واستدلوا على ذلك با ثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال ـ وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ : «إن الله قد بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم؛ قرأناها، ووعيناها، وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله؛ فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف»(١)، فهنا لا نجد في القرآن الكريم

(١) رواه البخاري: كتاب الحدود، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت، رقم (6830)؛ ومسلم: كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنا، رقم (١٦٩١)، واللفظ له.

سورة البقرة

الذي بين أيدينا آية تدل على الرجم في حق الزاني المحصن؛ فهي منسوخة لفظا باقية حكمًا.

ع
ج
وأما نسخ الحكم وبقاء اللفظ؛ فمنه: قوله ـ تعالى ـ: «إن يكن منكم عشرون صيرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون و الفن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصبرين * [الأنفال: 65، 66]، فالآية الأولى نسخت بالثانية، وبقيت الأولى متلوة في كتاب الله ـ عز وجل .. وأما نسخها معا ـ أعني: اللفظ والحكم ـ فمثلوا له بحديث عائشة الثابت في صحيح مسلم، أنها قالت: «كان فيها أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن»(١)، ونحن لا نجد هذه الآية - أعني أن عشر رضعات معلومات يحرمن، لا نجدها ولا نجد خمس رضعات معلومات يحرمن ـ أيضا ـ فيكون النسخ باعتبار عشر رضعات نسخا للحكم واللفظ، وباعتبار الخمس نسخا للفظ دون الحكم، ولا يشكل على هذا قولها ـ رضي الله عنها ـ: «فتوفي رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن»؛ لأن الذين يتلونها من القرآن لم يعلموا

(١) رواه مسلم: كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات، رقم (١٤٥٢).

=

١٣٨٦١

أحكام من القرآن الكريم

بالنسخ فصاروا يتلونها؛ فهذه أقسام ثلاثة للنسخ. فإن قال قائل: ما الحكمة من نسخ اللفظ وبقاء الحكم؟ قلنا: الحكمة في هذا ـ والله أعلم ـ في آية الرجم هي بيان فضل هذه الأمة؛ حيث عملوا بالرجم بشيء لا يجدونه في القرآن، على العكس من أهل الكتاب ـ اليهود ـ الذين كتموا آية الرجم، ولم يعملوا بها مع أنها موجودة نصّا في التوراة.
وأما نسخ الحكم وبقاء اللفظ: فالحكمة من ذلك أن يتعبد الناس بتلاوته، وأن يذكروا نعمة الله عليهم بهذا النسخ الذي كان فيه التخفيف.

وأما نسخها معا: فالحكمة فيها نسخ لفظا وحكتها هو أن هذا الذي نسخ لفظا وحكما لم يبق له أثر بالنسبة للعمل به، ولا بالنسبة لتلاوته، فصار من الحكمة أن ينسخه الله ـ عز وجل ـ لفظا وحكتها.

٢ـ ومن فوائد هذه الآية: أن الله ـ تعالى ـ قد ينسي الرسول ﷺ الآية من كتاب الله إذا شاء الله - عز وجل ـ ألا يبقى حكمها في عباده؛ قال الله ـ تعالى ـ: « سنقرئك فلا تنسى و إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ۞ [الأعلى: 6، 7].

٣ـ ومن فوائد هذه الآية: أن النسخ إذا وقع فإنه يكون إلى خير من المنسوخ، لكنه خير منه أو مثله، والخير قد يكون بالنسخ من الأخف إلى الأشد، أو من الأشد إلى الأخف، أو من مماثل لماثل، وكل ذلك

سورة البقرة

١٣٨٧

مطابق للحكمة؛ فالنسخ من الأسهل إلى الأصعب نسخ الصيام؛ حيث كان الصيام أول ما فرض مخيرا فيه بين الصوم والإطعام، ثم بعد ذلك تعين الصيام؛ فإن التخيير بين شيئين أيسر من تعين أحدهما، ولكن الله بحكمته جعل فرض الصوم متطورا هكذا؛ ليسهل على النفوس قبوله، والخيرية في النسخ من الأخف إلى الأشد هي استكمال الأجر في هذا الأشد من وجه، وبيان حكمة الله ـ عز وجل ـ في تشريعه لعباده؛ حيث كان يدرجهم من الأسهل إلى استكمال الشرع بأشد. وأما العكس ـ وهو النسخ من الأشد إلى الأخف ـ ففيه الخير، وهو التيسير على العباد، ومن ذلك ما ذكرناه في آيتي المصابرة؛ حيث فرض الله في الآية الأولى المنسوخة أن يصابر الإنسان عشرة، ثم خفف ذلك، وأوجب أن يصابر الإنسان اثنين، ولا شك أن هذا تخفيف من الله ـ تعالى ـ على العباد، وتيسير عليهم.

وأما إذا كان النسخ لماثل ففيه خير ـ أيضا ـ وهو بيان امتثال المكلّف؛ ومن ذلك
ذلك نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؛ فإن هذا النسخ باعتبار عمل المكلف لا يختلف؛ لأن المكلف ليس عنده فرق بين أن يستقبل بيت المقدس أو أن يستقبل الكعبة من حيث تكلف العمل والمشقة فيه، ولكن فيه خير باعتبار بيان امتثال المكلف، وأنه تابع لأمر الله، إذا أمره بشيء فعله، وإذا نهاه عن شيء تركه، ويشير إلى هذا قوله ـ تعالى : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لتعلم من يتبع الرسول ممن

ينقلب على عقبيه * [البقرة: 143]؛ وعلى هذا يكون المراد بقوله ـ تعالى ـ: أو مثلها »؛ أي: مثلها في العمل، وليس المعنى: أو مثلها في الخيرية؛ لأنه لو كان هذا هو المعنى؛ لكان النسخ عبثا لا فائدة فيه. ٤ـ ومن فوائد هذه الآية: إثبات القدرة الله ـ عـز وجـل ـ في قولـه ـ تعالى -: «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»، وأن القدرة متقررة عنـد الإنسان بفطرته.

هـ ومن فوائد هذه الآية: عـمـوم قـدرة الله في كـل شيء، في قوله: ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»؛ فهـو قـادر ـ عـز وجـل ـ على الموجود أن يعدمه، وعلى المعدوم أن يوجده. 6 ـ ومن فوائد الآية الثانية: تقرير ملك الله ـ عز وجل ـ للسموات والأرض؛ لقوله: «ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ـ ومن فوائدها: اختصاص ملك السموات والأرض الله ـ عز وجل -، لا يملكها أحد سواه؛ قال الله ـ تعالى ـ: « والذين تدعوت من دونه، ما يملكون من قطميري إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ [فاطر: 13، 14]، وقال ـ تعالى ـ: « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣]؛ فملك السموات والأرض الله وحده، لا

يشاركه أحد في ذلك.
فإن قال قائل: أليس الله ـ تعالى ـ قد أثبت للإنسان ملكا فقال: ٥ والذين يبتغون الكتب مما ملكت أيمنكم فكاتبوهم ﴾ [النور: 33]. وقال: « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمنهم فإنهم غير ملومين ﴾ [المؤمنون: 5، 6]. فالجواب: بلى، أثبت الله للإنسان الملك، ولكـن ملـك الإنسان لما يملكه ملك مقيد؛ مقيد من جهة العموم؛ حيث لا يملك الإنسـان كـل شيء، لا يملك إلا ما كان في حوزته، مقيد من حيث التصرف والتدبير؛ فالإنسان لا يملك أن يفعل في ملكه ما شـاء؛ لأنـه مقـيـد بـالـشرع، فـلا يتصرف في ملكه إلا

بما تقتضيه الشريعة، مقيد من جهة الزمن؛ فملك الإنسان لما يملكه ليس دائما، قد يتلف هذا المملوك، وقد يبيعه الإنسان بخلاف ملك الله ـ عز وجل ؛ فإنه ملك شامل دائم، فلا منافاة بين ما

)

أثبت الله للعبد من الملك، وبين ما أثبته لنفسه من الملك.
٨ ـ ومن فوائد الآيتين: بيان أنه لا ولي لأحد إلا الله ـ عز وجل ولا ناصر لأحد إلا الله ـ عز وجل ،، وليعلم أن ولاية الله عامة وخاصة؛ فالعامة: هي تولي أمور الخلق، وهذه عامة لكل أحد حتى للكفار؛ وخاصة: وهي الولاية التي تتضمن العناية والتوفيق والسداد، وهذه خاصة بالمؤمنين.
فمن المعنى الأول قوله ـ تعالى ـ: (حتى إذا جاء أحدكم الموت

٣٩

توفته رسلنا وهم لا يفرطون ان ثم ردوا إلى الله مؤلفهم الحق ﴿ [الأنعام:

٦٢،٦١]

أحكام من القرآن الكريم

ومن المعنى الثاني قوله - تعالى -: « الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الضغوث يخرجونهم من الثور إلى الظلمت أوليك أصحب النار هم فيها
خلدون ﴿ [البقرة: ٢٥٧].

4

ثم قال ـ تعالى ـ: « أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سبل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل = * . الخطاب في قوله: «أم تريدون ← لهذه الأمة، لأصحاب النبي والمراد: «رسولكم ؟ محمد ﷺ، يقول الله ـ عز وجل -: أتريدون أن تسألوا النبي ﷺ آيات تقترحونها كما سيل موسى من قبل فقيل له : أرنا الله جهرة؟ وهذا الاستفهام للإنكار عليهم؛ يعني: لا تسألوا الآيات وتقترحوها كما فعل ذلك من قبلكم؛ فإن هذا نوع من

الكفر؛ لأن الإنسان إذا كان لا يؤمن إلا حيث أتي بالآيات التي يقترحها صار إيانه تبعا لهواه لا تبعا لهداه؛ ولهذا قال: «ومن يتبدل الكفر بالإيمان»؛ أي: يأخذ الكفر بدلا عنه «فقد ضل سواء السبيل » أخطأ سواء السبيل؛ وسواء السبيل: وسطه المستقيم.

سورة البقرة

٣٩١١

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١- توبيخ الأمة لو سألت كا سأل أصحاب موسى. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان حال قوم موسى من التعنّت،
والتشدد، واقتراح الآيات.

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات أن موسى ـ عليه الصلاة
والسلام ـ رسول.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد أوذي من قبل، وأن إيذاء الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من ديدن المكذبين الذين أشركوا برسالتهم.
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من أخذ الكفر بديلا عن الإيمان؛ فإنه ضال مخطئ مها ازدهرت له الدنيا، ومها زانت في وجهه؛ فإنه ضال سواء السبيل.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من تبدل الإيمان بالكفر فقد هدي؛ ويتفرع على هذه القاعدة أنه إذا من الله عليه بالهداية بعد الضلال فليحمد الله على ذلك؛ فإنه قد أصاب سواء السبيل. ومن فوائدها وأحكامها: أن جميع الكفار قد أخطئوا سواء السبيل، ووقعوا في السبيل المعوج الذي يتيهون به عن طريق الحق.
-

١١٣٩٢

أحكام من القرآن الكريم

ثم قال الله - تعالى -: « ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأنروة" إن الله على

كل شيء

قديرى).
ود * ؛ يعني: أحب، والود خالص المحبة، ففي هذه الآية يخبر الله أن كثيرا من أهل الكتاب يودون أن يردوا أصحاب رسول الله ﷺ كفارا من بعد الإيمان، وأنه لا يحملهم على ذلك إلا الحسد، حسد المسلمين على ما أنعم الله به عليهم من اتباع محمد ﷺ، وكان هؤلاء اليهود ـ فيما سبق ـ يستفتحون على الذين كفروا ويقولون: سيبعث نبيّ وسوف ننصر به عليكم، فلا جاء هم ما عرفوه كفروا به ـ والعياذ بالله ـ؛ حسدا من عند أنفسهم، وهذا الحسد من عند أنفسهم كان بعد أن تبين لهم الحق، وأن الحق مع ما جاء به النبي ﷺ، وما كان عليه أصحابه، وفي هذه الحال أمر الله المؤمنين أن يعفوا ويصفحوا وحتى يأتى الله بأمره أن يعفوا فلا يؤاخذوهم بالذنب ويصفحوا؛ فيعرضوا عما حصل إعراضا كليًا.
حتى يأتي الله بأمره؛ وهو الأمر بقتالهم، وهذا حكم مغيى بغاية، والحكم المغيى بغاية يزول بزوال الغاية وانتهائها، فلما جاء الله بأمره وأمر بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، صار هذا الحكم ـ وهو العفو والصفح ـ منتهيا بانتهاء مدته وأمده الذي جعله

سورة البقرة

٣٩٣

الله ـ تعالى ـ له، وبين الله ـ تعالى ـ في ختام الآية أن الله على كل شيء
قدير، فلا يعجزه شيء، ولا يمنعه شيء. أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:
١- بيان ما عليه أهل الكتاب من الحسد العظيم لهذه الأمة. ٢- ومن فوائدها: أن من كان فيه حسد للناس على ما آتاهم الله من فضله؛ فإن فيه شبها باليهود.

٣ـ
ومن فوائدها: الحذر من كيد الأعداء ومخادعتهم؛ لأنهم يودون أن يردونا كفارا؛ فإنهم لم يألوا جهدا في سبيل الوصول إلى هذه الغاية منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا؛ ولهذا نجد النصارى يرسلون الفرق والطوائف المنصرة إلى البلاد الإسلامية، ولا سيما البلاد الفقيرة التي يسيطرون عليها من هذه الزاوية؛ ليخرجوا الناس من الدين الحق إلى
الدين المنسوخ الذي لا يقبله الله ـ عز وجل ـ.
4- ومن فوائدها: أن هذا الحسد من أهل الكتاب نابع من عند أنفسهم، لم يؤذن لهم فيه، ولم يكن عن روية وتعقل.

9
٦ـ
هـ ومن فوائدها: الحذر من محبة المسلمين للكفـر، وكـذلك يجـب الحذر من محبة المعاصي أن تنتشر بين المسلمين. ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء الذين يودون هـذا لهـذه الأمة يودونه عن عمد وعناد من بعد ما تبين لهم الحق. - ومن فوائدها وأحكامها: التدرج في معاملة الكفار؛ حيـث أمـر

١٣٩٤١

أحكام من القرآن الكريم

الله - سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية أن نعفـو ونـصفح حتـى يـأتي الله بأمره.
٨ ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الأحكام التي يحكم الله بها تنقسم إلى قسمين: أحكام مؤمدة ـ أي إلى أمد ـ وأحكام مؤبدة ـ أي إلى الأبد فمن الأحكام المؤمادة: هذه الآية: «فأعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمروة ، من أمثلة ذلك أيضا قوله - تعالى -: « والتي يأتين الفحشة من نسابكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفتهن الموت أو تجعل الله لهن سبيلا * [النساء: 15]، فهنا قال: «حتى يتوفنهن الموت أو تجعل الله لهن سبيلا »، وقد جعل الله لهن سبيلا؛ فقد أعلن ذلك رسول الله ﷺ ؛ حيث قال: البكر بالبكر جلد مئة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مئة

والرجم»).
9 ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الإنسان يعذر بجهله إذا خالف الأمر أو النهي؛ لقوله: «من بعد ما تبين لهم الحق ، وهذا الأصل قد دل عليه الكتاب والسنة؛ ففي القرآن يقول الله ـ عز وجل - : (وما كنا معذبين حتى تبعث رسولًا ۞ [الإسراء: 15]، ويقول - تعالى -: « رسُلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ۞ [النساء: 165]،

(1) أخرجه مسلم: كتاب الحدود، باب حد الزنى، رقم (1690).

سـورة البقـرة

١٣٩٥

ويقول - تعالى -: (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هدنهم حتى يبين لهم ما يثقون ﴾ [التوبة: 115]، ويقول الله ـ تعالى ـ: «وما كان ربك مهلك الفرى حتى يبعث في أمها رسولًا يتلوا عليهم ءايتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظلموت ﴾ [القصص: 59].

ع

وأما السنة: فمن أدلتها أن النبي ﷺ لم يأمر المسيء في صلاته أن يقضي ما فعله جاهلا ـ وكان المسيء في صلاته لا يطمئن في ركوع، ولا سجود، ولا قيام، ولا قعود ـ حتى بين له النبي ﷺ، ولم يأمره بالإعادة أي: بإعادة ما سبق من الصلوات ـ مع أنه كان لا يطمئن، فالقول الصحيح الراجح أن من لم تبلغه الدعوة؛ فإنه ليس عليه حرج فيها إذا مات وهو مسلم، لكن يفعل ما يخرج من الإسلام جهلاً، أو يترك ما يجب الإيمان به جهلاً.
١٠ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات عموم قدرة الله - عز وجل ؛ لقوله: (إن الله على كل شيء قدير، ولا يستثنى من هذه القضية الكلية العامة شيء؛ كل شيء فالله قادر عليه؛ قادر على إيجاد المعدوم، وعلى إعدام الموجود، وعلى تغيير الشيء من حال إلى أخرى، وهنا نذكر ما يقوله بعض الناس عند الحديث عن قدرة الله؛ حيث يقول: إنه على

ما يشاء قدير؛ فإن هذا يقتضي تقييد القدرة بما يشاء الله، والله ـ تعالى ـ قادر على ما يشاء وما لا يشاء، وتقييد القدرة بها يشاء تضييق لمعناها العام الذي أراده الله ـ تعالى ـ بها؛ فالواجب أن تجرى على عمومها

-

١٣٩٦

بدون استثناء، ويقال: إن الله على كل شيء قدير.

*

أحكام من القرآن الكريم

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « وأقيموا الصلوة و اتُوا الزكوة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) . في هذه الآية يأمر الله ـ تعالى ـ بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصلاة تشمل الفرض والنفل، وهي معروفة، والزكاة هي الفرض فقط؛ لأن ما سوى

الزكاة يسمى صدقة أو نفلاً، أو ما أشبه ذلك؛ والزكاة هي المال الذي أوجبه الله ـ تعالى ـ على عباده في أشياء معينة من الأموال، ويخرج منها الإنسان قدرا معينا حسب ما عليه من المئونة؛ ففي الحبوب والثمار: يكون فيها شقي بلا مئونة العشر كاملا، وفيها شقي بمئونة نصف العشر، حسب ما ينظر ولي الأمر في ذلك، ثم بين الله - عز وجل ـ أن كل ما نقدمه من الخير فإنا نقدمه لأنفسنا، ونجد ثواب ذلك عند الله ـ تعالى ـ مدخرا؛ ولهذا قال: ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله »، ثم بين الله ـ تعالى ـ أنه عليم بكل ما نعمل، بصير به، لا يخفى عليه شيء من أعمالنا.

قال الله - تعالى -: « وأقيموا الصلوة وعاثوا الزكوة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير . ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله ـ تعالى ـ عباده أن يقيموا الصلاة

سورة البقرة

٣٩٧

وأن يأتوا بها مستقيمة بشروطها، وأركانها، وواجباتها، ويتموا ذلك بمكملاتها، وأن يؤتوا الزكاة؛ أي: يعطوها أهلها المستحقين لها؛ والزكاة هي المال الواجب أو هي نصيب يقدر شرعا في مال مخصوص. ثم يبين الله ـ عز وجل ـ أن ما نقدمه لأنفسنا من الخير فإنه لن يضيع، بل سيوجد عند الله ـ عز وجل ..
وفي آية أخرى يقول ـ تعالى ـ: « تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا ﴾ [المزمل: ٢٠].
ويختم الله الآية بأنه بصير بما نعمل؛ حثّا منه لنا على العمل
الصالح، واجتناب العمل المحرم.
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ وجوب إقامة الصلاة؛ لقوله ـ تعالى -: «وأقيموا الصلوة»، وهذا ـ أعني: إقامة الصلاة الواجبة ـ فيا هو واجب؛ كالشروط، والأركان، والواجبات، أما ما كان مستحبا؛ فإن الأمر بإقامته على سبيل الاستحباب.

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب إيتاء الزكاة؛ لقوله ـ تعالى -: وءاتُوا الزكوة»؛ أي: أعطوها مستحقها، وقد بينت السنة كيف تكون إقامة الصلاة، وكيف يكون إيتاء الزكاة على وجه مبين مفصل؛ فما توفي رسول الله ﷺ إلا وقد أبان للأمة كل ما تحتاج إليه في أمور دينها ودنياها؛ قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ: لقد توفي رسول الله ﷺ

وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما. 3ـ ومن فوائدها وأحكامها: الحث على تقديم الخير؛ لقوله ـ
تعالى -: «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » . ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها أيضا: أن ما نقدمه من الخير لن يضيع، بل سنجده عند الله ـ عز وجل ـ مدخرا، أحوج ما نكون إليه، ولكن يجب أن ننتبه هنا إلى أن ما نجده يوم القيامة من الخير قد يكون لغيرنا؛ كما قال النبي ﷺ :
«أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع؛ فقال: «إنّ المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرحت عليه؛ ثم طرح في النار» (١).
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الله - سبحانه وتعالى ـ بصير بكل ما نعمل من خير وشر؛ لقوله ـ تعالى -: «إن الله بما تعملون
بصير.

6ـ ومن فوائدها: تحذير العباد من المخالفة؛ لأن الله ـ تعالى ـ إنا قال: «إن الله بما تعملون بصير»؛ تحذيرا من أن نخالف أوامره،

(١) رواه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨١).

سورة البقرة

٣٩٩|

وأن نقع في نواهيه، فإننا إن فعلنا ذلك؛ لن يخفى عليه ـ سبحانه وتعالى شيء من أحوالنا.

قلـ
ثم قال الله - تعالى -: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوذا أو نصري * تلك أمانيهم قل هاتوا برهتكم إن كنتم صدقين (بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه، ولا

خوف عليهم ولا هم يحزنون - ﴿ [البقرة: ١١١، ١١٢] وقالوا »؛ أي: اليهود والنصارى: «يدخل الجنة إلا من كان هوذا) يقوله اليهود، «أو نصرى » يقوله النصارى؛ يعني: وأنتم أيها المسلمون لن تدخلوا الجنة، لكن الله رد عليهم زعمهم هذا؛ فقال - تعالى -: (تلك أمانيهم »؛ أي: هذه أماني وأوهام باطلة لا تستند إلى شيء من الوحي المنزل على الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ؛ ولهذا قال: «قل هاتوا برهنتكم »؛ أي: قل لهؤلاء القائلين هذه المقولة متحديا لهم: «قل هاتوا برهتكم »؛ أي: أعطونا حجتكم التي تثبتون بها ما زعمتم من أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وإن كنتم صادقين ← فيها تقولون، ومن المعلوم أنهم لن يجدوا حجة لما قالوه؛ ولهذا قال بعدها: «بلى من أسلم وجهه له وهو محسن»؛ «بلى»: فيها إبطال لما سبق من دعواهم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، ثم يبين الله ـ عز وجل ـ من الذي يدخل

فلے